الإدارة المالية للدولة الغزنوية في عهد

السلطان محمود وولده مسعود ٣٨٨-٤٣٢هـ/٩٩٨-١٠٤٠م

الدكتور/ عبد الكريم حتاملة

جامعة مؤتة - قسم التاريخ

مقدمة :

تحاول هذه الدراسة أن تكشف للقارئ الكريم عن طبيعة الإدارة المالية في الدولة الغزنوية وذلك في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي وولده السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وما كان لهما من أعمال موفقة في النواحي المالية والإدارية والسياسية وتمكنها أيضاً من إنشاء دولة إسلامية مترامية الأطراف شملت بلاد ما وراء النهر وخراسان ونيسابور وسجستان والهند وباكستان وأفغانستان ، إذ انتظمت هذه البلاد بالحكومة المركزية . فالسلاطين الغزنويون ليسوا أول من اتخذ من الإدارة المالية وسيلة للنهوض بالدولة بمؤسساتها الإدارية في الحضارة الإسلامية ، بل كانوا مقلدين للخلفاء العباسيين ، ومقتبسين عنهم معظم نظمهم المالية والإدارية والسياسية وبناءً على ذلك فإننا نرى أن الإدارة المالية عند الغزنويين هي امتداد لمنجزات الخلافة العباسية .

وبما أن الدولة الغزنوية ، انفردت بنظام حكم مستقل يمتلك عناصر القوة والتجديد ، فقد عملوا على إظهار الإدارة المالية بمظهر متميز ، حيث كانت هذه الإدارة مؤسسة متطورة علماً بأن السلطان الغزنوي كان صانعاً للقرار السياسي ، ومنظماً لمرافق الدولة المالية والإدارية والعسكرية ولم تبق الدولة الغزنوية في أوج قوتها وازدهارها ، بل أصابها الضعف والخلل ، مما أدى أخيراً إلى وقوعها في ضائقة مالية ، من جراء النفقات وانهيارها ، على الرغم من محاولات الإصلاح التي قام بها الوزراء في هذا المضمار وتوخياً لدقة المعلومات ، فقد رجعت في هذة الدراسة إلى مصادر تميزت بأن بعض مؤلفيها عاصروا تلك الفترة ، وكانوا على صلة قوية برجال الحكم وهذا مما أثرى من قيمة البحث ومن أشهرهم :

العتبي (ت٤٢٨/١٠٣٧م) وهو مؤرخ الدولة الغزنوية ، ويعد كتابه " تاريخ اليميني " من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الدولة الغزنوية في عهد سبكتكين وابنه

السلطان محمود ، فقد كان العتبي كاتب السلطان محمود وسفيرة ، وقد عرض بأمانة ودقة لتاريخ الغزنويين وخاصة ما يتعلق بالإدارة المالية .

كذلك المؤرخ **البيهقي** (ت ٤٣١هـ/١٠٤٠م) صاحب كتاب تاريخ البيهقي ، حيث يعد كتابه من أهم المؤلفات في تاريخ الدولة الغزنوية ، وأهميته جاءت في أنه لم يكتف بذكر الأحداث السياسية ، بل جاء بعرض دقيق للنظم السياسية والإدارية والمالية ، ورسوم قصر السلطان ، ومظاهر الحياة الاجتماعية لذلك جاءت معلوماته دقيقة لأنها كانت مدعمة بالوثائق التي كانت في متناول يده إذ كان نائباً لرئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود.

والمؤرخ ابن **الأثير** (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) صاحب كتاب الكامل في التاريخ ، وقد زودنا بمعلومات وافية عن الحياة الاقتصادية عند الغزنويين .

هذا بالإضافة إلى مراجع متخصصة عن الغزنويين ، سواء أكانت هذه المراجع عربية أم أجنبية ، وهي مثبتة في قائمة المصادر والمراجع ، وعلى رأس هذه المراجع ما كتبه المستشرق بارتولد في كتابه عن تركستان ، ومحمد ناظم عن السلطان محمود الغزنوي ، وأيضاً ما كتبه المستشرق بوزورث على دراسة المشرق الإسلامي ، وخصوصاً ما يتعلق بالدولة الغزنوية ولا ننسى أيضاً الكتب الجغرافية التي تناولت موضوع البحث مثل الإصطخري ، ابن حوقل ، المقدسي، وغيرها من المصادر التي سيرد ذكرها ضمن البحث .

اهتمام الغزنويين بجمع المال : اهتم الغزنويون اهتماماً كبيراً في جمع الأموال، وخاصة في عهد السلطان محمود وولده مسعود ، وراحوا يبحثون عن أسلم الطرق والوسائل لجمعها ، حيث كانت هذه المكاسب المالية سبباً وراء تطور مرافق الدولة " كإشادة المعاهد العلمية ، وشق الطرق وبناء المساجد والقلاع والجسور "[١]

(١) Meyer , M.W South Asia Ashort History of subcontinent (New Jersey : ١٩٦٧) p. ٨٢.

كذلك نلاحظ أن حكم فترة السلطان محمود لم تنقطع فيها جمع الغنائم الهائلة والهدايا ، وذلك بسبب حاجته للمال ، وهذا ما أكده المؤرخون ، ومنهم المؤرخ المعاصر العتبي ، الذي زودنا بمعلومات عن حاجة السلطان محمود للمال، وذلك لتجهيز حملة عسكرية يعدها الوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي في مدى يومين ، وكانت النتيجة كما يقول العتبي " ووكلهم باستخراجه في يومين لاهتمام الركض وضيق رقعة الوقت ، فعصبوا عصب السلم وسلخوا سلخ الغنم وأقيموا على جمرة الضرم "[1] .

كذلك عدّ المؤرخ ابن الأثير شهوة حب المال عند السلطان محمود النقيصة الوحيدة وهي التي تعيبه بقوله : " ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق ، فمن ذلك أنه بلغه أن إنساناً من نيسابور ، كثير المال، عظيم الغنى ، فأخذه إلى غزنة وقال له : " بلغني أنك قرمطي ، فقال: لست بقرمطي ولي مال ، يؤخذ منه ما يراد ، وأعفي من هذا الاسم فأخذ منه مالا ، وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده "[2]

وما أورده ابن الأثير من أن السلطان لم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل الطرق ، هل كانت الطرق شرعية أم لا ؟ ومن الطبيعي أن لا ينظر الناس ، إلى جامعي الضرائب نظرة فيها محبة للدولة ، وأما قصة القرمطي فليست دليلاً على ظلم نظراً لاختلاف الرجلين في المذهب ، وموقف جميع الممالك والدولة العباسية من القرامطة معروف.

---

(١) العتيبي : أبو النصر بن عبدالجبار (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) تاريخ اليميني ، ج٢ وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي المنيني المتوفى سنة ١١٧٢م وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي (القاهرة : ١٢٨٦م)١٦٨.

(٢) ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن عبدالواحد الشيباني ، (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، ج٩ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩م) ص٤٠١.

أما مصادر الدخل في الدولة الغزنوية فيمكن أن نجملها في ما يلي :

أولاً : الأراضي والممتلكات الخاصة بالأسرة المالكة :

كانت هذه الممتلكات تشمل : ضياع السلاطين التي كان يملكها السلطان نفسه أو الضياع التي تخص الأمراء ، أو أفراد الأسرة الغزنوية ، كما كانت تشمل أيضاً الممتلكات التي كانت تمنح لبعض الوزراء ، وكبار رجال الدولة .[١] وتشمل أيضاً أراضي زراعية شاسعة تجارية ، وأعداداً هائلة من الأغنام [٢]وكان يشرف على ممتلكات الأسرة المالكة ديوان يعرف بديوان الوكالات ويشرف على إدارة السلاطين والأمراء . وعلى الجانب المالي في إدارة البيت الملكي [٣].

ثانياً : الأملاك المصادرة :

وهي من العقوبات الصارمة ، والتي تفرض على الأشخاص الذين إتهموا بالخيانة والرشوة ، وتكون عقوبتهم تجريدهم من أملاكهم ، وضمها إلى أملاك السلطان [٤]. وأصبح من المتعارف عليه أن كل فرد يتعرض للقبض عليه تتم على الفور إجراءات مصادرة ما يحصلون عليه من أموال بغير وجه حق وقد تعرض لهذا الإجراء القاسي شخصيات مرموقة في الدولة أمثال :

---

(١)محمد حسن العمادي ، خراسان في العصر الغزنوي (إربد مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية ١٩٩٧م) ص ١٢١

(٢)البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ، (ت ٤٧٠هـ/١٠٩٢م) **تاريخ البيهقي** ، ترجمة يحيى الخشاب صادق نشأت (بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٢م) ص١٣٥

(٣)العمادي ، **خراسان** ، ص١٢١

(٤)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص١٩٧ . وسنجد بالتفصيل عن تجريد كل ما يمتلك حسنك من الضياع باسم السلطان محمود

الوزير الإسفرائيني : أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني [١]، تعرض هذا الوزير ، والذي شغل وزيراً مفوضاً للبلاط الغزنوي من سنة (٣٨٧- ٤٠١هـ / ٩٩٨-١٠١١م) للمصادرة ، وذلك بسبب تعسفه مع أهل خراسان في الجباية فلما ساءت الأحوال في خراسان، ولم يعد في إمكانه أن يجمع المال المقدر لذلك اتهمه السلطان محمود باحتجاز الأموال لنفسه " فطالب الوزير منها بما اقتطعه واتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة، فهما عضة العتب بثقافة أظهر الاستعفاء ، وجلب إلى نفسه البلاء ، واسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً وتوسط الملأ بين السلطان وبينه " [٢].

كما تعرض أيضاً للمصادرة والعزل كل من : أحمد بن حسين بن ميكال حسنك والوزير أحمد بن عبد الصمد [٣]. وفي أحسن الأحوال كان الفرد يتخلص من الحبس بدفع فدية لقاء ذلك [٤]وقد قدرت الفدية (بأخذ ثلثمائة ألف دينار) [٥].

الوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي [٦]. والذي أبدى كفاءةً ومقدرةً في وزارته ، غير أن ذلك المنصب جعله هدفا للحساد من ندماء السلطان محمود ، وكبار الأعيان في الدولة مما أدى أخيراً إلى مصادرة أمواله وعجزه سنة (٤٠٩هـ/١٠١٩م) وهذا ما أكده العتبي بقوله: " فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل وفزع من بعد إلى خاص أملاكه وضياعه ومواشيه وكراعه وتجمله وأثاثه

---

(١)الفردوسي: أبو القاسم الفردوسي ، (ت٤١١هـ/١٠٢١م)**مقدمة الشاهنامة** ، ترجمة الفتح بن علي البنداري، علق عليها عبد الوهاب عزام (القاهرة : ١٩٣٢م) ص٥٦ . العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ج٢ ص١٥٦-١٦٦

(٢)العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ج٢ ، ص١٥٩

(٣)أحمد الجوارنة ، **طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية** (مستل من المجلد العاشر ، العدد الثالث من مجلة أبحاث اليرموك) جامعة اليرموك ١٩٩٤م ، ص٥٦-٥٧

(٤)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص١٧٥

(٥)المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٦)انظر ترجمته : العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ج٢ ، ص١٦٦-١٧٢

حتى حلى أثاثه فحل ما اعتقده منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله "[١].

ويرى ابن الأثير أن سبب الخلاف بينهما ، يرجع إلى أمور وقعت من الوزير أنكرها عليه السلطان " وكان السلطان محمود قد قبض عليه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لأمور أنكرها ، وقيل شره في ماله وأخذ منه لما قبض عليه مالاً وأعراضاً بقيمة خمسة آلاف آلف دينار "[٢].

ما أورده المؤرخ ابن الأثير حول علاقة السلطان محمود ووزيره الميمندي ، حقيقة لا يعاد إلى جشع السلطان وحبه في ماله ، بل جاء لأمور أنكرها السلطان عليه ، ولما تم القبض عليه وأحضر صاحب ديوان الاستيفاء ، وجد لديه خمسة ملايين دينار جمعها بغير وجه حق.

ويعلل المؤرخ الهندي محمد حبيب سبب سوء العلاقة بين السلطان محمود والوزير الميمندي إلى تلك الشهرة العالية التي نالها الوزير بالإضافة إلى قوة شخصيته التي خشيها الولاة والقادة[٣].

ولعل الرواية التي أوردها العتبي حول سوء العلاقة بينهما كان من أهم الأسباب الذي جعله هدفاً للحساد من ندماء السلطان محمود وكبار رجال الدولة .

يلاحظ من كل ما سبق أن هذه المصادرات قدرت بأموال كثيرة وقد جمعت هذه الأموال بغير وجه حق ، وقد أضيفت إلى أملاك السلطان الغزنوي محمود وولده مسعود ، وقد مكنتهما بأعمال إنشائية عمرانية ، وأخرى هبات وأعطيات لشخصيات قاموا بمدح السلطان ، وتمجيد أعماله العسكرية ، ونفقات الحملات

---

(١)المصدر نفسه ، ص١٧٠

(٢)ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٤٠٠

(٣) Muhammed Habib: **Sultan Mahmoud of Ghaznin** (Lahore : ١٩٧٨) p.٦٨

الحربية ، حيث كانت تكاليف الدولة الغزنوية باهظة في هذا الصدد ، لأنها كانت في غزوات متواصلة بعضها في بلاد الهند ، وبعضها ضد القوى الإسلامية المعادية .

كما يلاحظ أيضاً الاهتمام الزائد من قبل السلطان محمود وولده بضبط هذه الأموال وتسجيلها عن طريق ديوان يسمى ديوان الاستيفاء .

ديوان الاستيفاء : وهو من الدواوين المالية المهمة لدى الدولة الغزنوية ومهمته تسجيل الأموال، واستلام المحاصيل ، والقيام بمحاسبة الموظفين العاملين بالإضافة إلى الأفراد المنوط بهم أموراً مالية للسلطان [١] وديوان الاستيفاء هو ديوان المحاسبة ، والمستوفي المحاسب [٢] وكان السلطان محمود الغزنوي يستخدم الشدة في المحاسبة ، كالضرب بالسياط وقطع الأيدي والأرجل والتعذيب [٣].

ديوان العارض : والعارض (صاحب ديوان الجند) من أهم الدواوين عند السلطان محمود الغزنوي حيث أوكل إلى العارض نفقات الجيش ، وأرزاق الجند وكان له الحل والعقد والإثبات والإسقاط [٤]. ولأهمية هذا المنصب عندما يعين العارض يأمر السلطان بخلعة فاخرة تشتمل على منطقة سبعمائة مثقال [٥] ويعني ذلك أنه أصبح من الرتب الكبيرة في الدولة ويستعين عادة بمجموعة من الكتاب لعمل بيانات بمكافآت الجند ، وبيانات المصروفات. وممن تولى هذا المنصب في عهد السلطان محمود الغزنوي كما ذكر البيهقي : أبو القاسم كثير حيث كان " يجلس مع أبي سهل الحمدوي طاهر وأبي الفتح الرازي وغيرهم من سادات الدركاه والمستوفين " [٦]، وبقي في منصبه حتى فترة زمن السلطان مسعود ثم عزله وولى

---

(١)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص١٣٦ ، ٨٠٤

(٢)المصدر نفسه ، ص١٣٦

(٣)المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٤)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٥٣٦

(٥)المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٦)المصدر نفسه ، ص٩٦

بدلاً عنه أبا سهل الزوزني ، بناءً على طلب الوزير أحمد حسن الميمندي ، وقد لعب الزوزني دوراً مهماً في القضاء على الوزير حسنك وزير السلطان محمود ، وكاد أن يسيء العلاقة بين السلطان ووالي خوارزم سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) ، لولا أن كشف السلطان أمره فعزله وصادر ممتلكاته .[١]

ثالثاً : الخراج : ومن مصادر الدخل في الدولة الغزنوية ضريبة الخراج ، وهي عبارة عن مقدار من المال أو الحاصلات ، ويفرض على الأرض التي صولح عليها المشركون ، يؤخذ الخراج على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة (- بالقتال) ويؤخذ الخراج أيضاً على الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين (استحوذوا عليها دون قتال) . ومن ذلك يحدثنا الماوردي أن هناك ثلاثة أنواع من الأراضي لا يفرض عليها الخراج وإنما يدفع عنها أصحابها عشر ثمارها ومحصولاتها وتسمى الأرض العشرية وهي [٢]: الأرض التي أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب وهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنها ضريبة العشر زكاة ثم الأرض التي ملكها المسلمون عنوة (بالقتال) وهذه تعتبر أرض عشر ، وأخيراً الأرض التي كانت تؤخذ من المشركين عنوة ، وهذه تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها وحينئذ تكون أرض عشر ولا يوضع عليها خراج .

ويخبرنا آدم متز أن أهم الحاصلات الزراعية الموجودة في مناطق الدولة الغزنوية هي : الكرم ، فواكه الأترج والنارنج ، البطيخ ، التمور ، الحبوب بأنواعها مثل السمسم ، الحنطة والشعير ، الذرة ، الجوز ، اللوز ، والأرز ، القطن [٣].

---

(١)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٢) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص١٣١

(٣)آدم متز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** أو عصر النهضة في الإسلام ج٢ نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة (بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م) ص٣٠٢ـ٣١١ الإصطخري: أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت ٣٤١هـ/٩٥٩م) المعروف بالكوفي .

وجدت في الدولة الغزنوية أيضاً الضريبة المفروضة على الأموال التجارية الصادرة والواردة إلى الدولة الإسلامية ، وكانت تفرض الضرائب على البضائع المنقولة من ناحية إلى أخرى براً وبحراً ، وقد أنشئت لجبايتها دور المكوس في أماكن مختلفة وخاصة في البر والبحر والنهر ، وكذلك فرضت على الدور والحوانيت والأسواق ، وكانت واردتها كبيرة ، وكانت أصفهان وجرجان ، تمولان خزائن الدولة بأموال كثيرة من ضرائب التجارة نظراً لانتعاشها تجارياً [١].

كذلك فرضت على المعادن المستخرجة من جوف الأرض وتقدر بالخمس [٢] وذكر آدم متز أن من أهم المعادن الموجودة في الدولة الغزنوية : الفضة والذهب (سجستان) جبل الفضة (بلخ) النحاس (أصفهان) فارس استخراج الحديد حديد كرمان ، كابل الفحم الحجري ، فرغانة وبخارى [٣]. الياقوت والزمرد ، واللؤلؤ ، والفيروز .

ويلاحظ من ذلك أن الغزنويين اهتموا كثيراًبتحصيل تلك الضرائب على الموارد الزراعية والمعدنية والتجارية ، وقد أخبرنا المؤرخ المعاصر العتبي بأن هؤلاء العمال المكلفين في الحصول عليها ، كانت تساندهم قوة عسكرية ، وذلك "بتعيين حاكم قوي ليضبط الأمن" [٤].

المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م) ص١٤٩ ابن حوقل ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) كتاب صورة الأرض (ليدن : ١٩٦٧م) ص٢٢٨

(١)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٧٦

(٢)الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٩٨

(٣)آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص١٩٨ ، ٣٢٢.٣٢٥

(٤)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٤٩٢

كذلك أسندت الدولة مهمة تقدير الضريبة من الخراج إلى عمالها في بعض الأحيان

أما شكل الضريبة المقررة ، فتكون إما نقداً وإما مقداراً من المحاصيل عند نضجها ، ويرى بوزورث أن هؤلاء العمال "كانوا يقتطعون قسماً من هذه الضريبة كمرتبات لهم" [١] في حين يرى البيهقي بأن الجند " منحوا براءات ليأخذوا الأموال بعنف " [٢]

ويرى بوزورث أيضاً أن "لغياب المعلومات عن مقدار الضريبة المقررة لدى الغزنويين علينا مقارنتها بالضريبة التي كانت عند السامانيين" [٣] ويستطرد بوزورث قائلاً :

"بأن هناك فرقاً شاسعاً ما بين الدولتين في أسلوب جمعها وعسف النظام الضرائبي لدى الغزنويين"[٤]

وما يتبقى من الضريبة بعد جمعها ، ترسل إلى الأماكن والفروع الإدارية في الولايات ومنها إلى الإدارة المركزية .

أما بارتولد فيقول بأن " القائمين على الضريبة وأساليبهم في جمعها تجاوز حدود المعقول وذلك بالضغط الواقع عليهم من قبل السلطان ، وقد أدى ذلك إلى ترك الفلاحين أراضيهم في القرى بعد خرابها وذلك بسبب هذه الضرائب " [٥].

---

(١) Bosworth , C.E. **The ghaznavids their Empire in Afghanistan** and Eastern Iran (Edinburgh , ١٩٦٣) p.٣٣

(٢)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٤٩٢

(٣) Bosworth , **The ghaznavids** , p . ٣٢

(٤) Bosworth , **The ghaznavids** , p . ٣٣

(٥) Barthold , w . **Turkerstan Down to The mongel Invasion** (London: ١٩٦٣) p.٢١٧

وقد اعتمد بارتولد على ذلك برواية العتبي والذي علق بها على عزل السلطان محمود لوزيره أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني بقوله " فأظهر السلطان ضجراً من تحير الأموال وتراجع الارتفاعات ، فطالب الوزير منها بما اقتطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة فهما عضة العتب بثقافة أظهر الاستعفاء وجلب إلى نفسه البلاء وأسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً وتوسط الملأ بين السلطان وبينه "[1]

كذلك كانت هناك أموال تجمع لأمور استثنائية بالإضافة إلى الضريبة المقررة ، ومن الأمثلة على ذلك ، كان الناس يكلفون بتوفير العلف للدواب في المناطق التي يسير فيها السلطان وجيشه .

وهذا ما أكده البيهقي بقوله : " ويقال إن سكان آمل ألف ألف رجل فلو أخذ من كل رجل دينار لتجمع منهم ألف ألف دينار ، ولحصلنا فضلاً عن ذلك على الذهب والثياب ، ويسوي كل هذا في ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر وبعد النوروز بمدة حين نكون في نيسابور ، نقدر إذا شئنا البقاء بها في الصيف ويهيئ سورى والرعية ما يلزم من العلف " [2].

وعندما أشرف عهد السلطان مسعود الغزنوي على نهايته ، كانت السياسية الغزنوية المالية ، قد سوّدت صورة البلاد ، كما وعصفت بأوضاعها الأمنية ، ويؤكد البيهقي ذلك بقوله عن حاكم خراسان ، الذي كان يتجبر في جمع الأموال ويهدي منها للسلطان " وفي اليوم الثالث من رمضان قدموا للسلطان الهدايا التي كان قد أعدها صاحب ديوان خراسان ، وكانت تشمل على خمسمائة حمل من الهدايا التي كنت قد رأيت مثلها بين الهدايا التي جاء بها حسنك إلى السلطان

(١)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص١٥٩

(٢)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٤٧٣-٤٧٤

محمود في العام الذي عاد فيه من الحج ، بعد وصوله من نيسابور إلى بلخ وقد احتوت هذه الهدايا على كثير من الألبسة والطرف وآلات الذهب والفضة والغلمان والجواري..." [١].

بالإضافة إلى هذه الهدايا ، فإنه قد أرسل مع هديته "من المأكولات والمشروبات ما يناسبها" [٢].

ومن هذا النص يمكن ملاحظة حاكم خراسان كما وصفه البيهقي بأنه كان رجلاً ظالماً لا يخاف الله في جمع الأموال التي يأخذها من الفلاحين ، فقد استحوذ على أموال لا تحصى ، وامتد ظلمه إلى الضعفاء ويؤكد ذلك البيهقي بقوله : " وكان يقاسم السلطان يعطيه خمسة من كل عشرة دراهم يغتصبها " [٣].

ويستطرد البيهقي قائلاً " فإنه إلى جانب ظلمه ، كان رجلاً كريماً في الصدقات مؤديا للصلوات ، وله أثار طيبة في مدينة طوس " [٤].

بالإضافة إلى كل ما ذكر فإنه بلغ الأمر أثناء حكم السلطان مسعود بأن قدّر ضريبة فادحة على سكان آمل وطبرستان ، وقد بيّن ذلك البيهقي بقوله : " اكتب ما يجب أن يحصّل من آمل وطبرستان وما يجب أن يجبيه أبو سهل إسمعيل وهو ألف ألف دينار من الذهب النيسابوري وألف قطعة من الألبسة الرومية وغيرها وألف قطعة من المحفوريات والسجاد ، وخمسة آلاف كساء " [٥].

وكان موقف الناس من هذه الضريبة أنهم ضجوا بالشكوى ، ولم تجد توسلاتهم واستغاثاتهم في إلغائها أو تخفيفها .

---

(١)المصدر نفسه ، ص٤٣٦

(٢)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٤٣٧

(٣)المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٤)المصدر نفسه ، ص٤٣٨

(٥)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٤٩١-٤٩٢

يلاحظ من كل ما سبق أن السياسة الغزنوية المالية الخاطئة والتعسفية كانت السبب في الانتفاضات والثورات والهلاك الذي حلّ بالقرى والمدن ، ومما يؤكد ذلك أن أهالي خراسان كاتبوا التركمان في ما وراء النهر ليخلصوهم من حكم الغزنويين .

أما الأعيان " فقد تقطعت بهم الأسباب ، فكتبوا الرسائل إلى ما وراء النهر وأوفدوا رسلهم شاكين لأمراء الترك كي يغروا التركمان بالغزنويين " (١).

رابعاً : الغرامات والهدايا : ومن مصادر الدخل في الدولة الغزنوية :

الغرامات والهدايا ، حيث كانت تفرض على الأقاليم المفتوحة ، وخاصة الهند والتي كانت مصدراً مهماً ، فقد الزم السلطان محمود بعض حكام الهند ، بدفع مبالغ مالية سنوية إضافة إلى الهدايا التي تصل إلى غزنة ، وإن لم تكن بصورة منظمة

ومن الأمثلة على ذلك :

ألزم السلطان محمود الغزنوي والي الملتان (أبا الفتوح) سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) بغرامة تقدر " بعشرين ألف ألف درهم يدحضون بها دنس استعصابهم ويدرؤن عن أنفسهم هجنة استشرائهم وأبائهم وعبر ذكره بما آتاه الله تعالى من نصرة الدين وإنارة معالم الدين " (٢).

وكان ذلك بسبب انتحاله مذهب الباطنية ، ويدعو الناس إلى عقيدته وهذا ما أكد عليه العتبي بقوله " فقد كان بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة حال والي الملتان أبي ألفتوح من خبث نحلته ودخل دخلته ودحس اعتقاده وقبح إلحاده ودعائه إلى مثل رأيه أهل بلاده فأنف للدين من مقارته على فظاعة شره وشناعة أمره " (٣).

---

(١)المصدر نفسه ، ص٤٣٧

(٢)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص٧٥

(٣)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص٧٢

طالب السلطان محمود الغزنوي ملك الهند في وقعة " ناردين " سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) بدفع جزية ، وقد زودنا العتبي بمعلومات وافية حول ذلك بقوله "أن يقود إليه (ملك الهند) بادئ الأمر خمسين فيلاً ، يعدّ آحادها بأضعافها ثقل أجسام وخفة أقدام ويحمل معها مالاً عظيم الخطر كثير القدر بما يضاهيه من مبار تلك الديار ومتاع تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره في خدمة بابه بألفي رجل بادئين وعائدين إلى إتاوة معلومة يلتزمها كل سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم في كفالة الملك مقامه فأوجب السلطان إجابته إلى ملتمسه لعز الإسلام بذل طاعته وإعطائه الجزية عن يده " [١].

وهكذا عقدت الهدنة بين الطرفين ، واستمرت الإتاوة تدفع بانتظام وهذا ما أكده العتبي بقوله " فانعقدت تلك الهدنة ودرت تلك الإتاوة وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الأمان وجوار الحيطة والإحسان " [٢].

ألزم السلطان محمود الغزنوي في فتح قصدار سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م) الأخوين أيلك وطغان خان بدفع " خمسة عشر ألف ألف درهم من جملة ما كان ألظ به من أموال عمله فالتزمها ونفذ أكثرها ، وقبض السلطان على عشرين فيلاً ضخاماً هائلة كان اعتقدها ليومي بؤسه وبأسه ووكل به من استوفى المال عليه " [٣].

قبل السلطان محمود الغزنوي شفاعة الخليفة العباسي لإبقاء أصفهان بيد البويهيين مقابل " أن يؤدي عن كل عام مائتي ألف دينار هروي * وعشرة آلاف

---

(١)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢١

(٢)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٢

(٣)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٣

* **هروى** : دينار هريوة . يقال إنه نسبة إلى هراة ويقال إنه يطلق على الذهب الخالص والرائج . البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص١٦ (هامش رقم (١) .

ثوب من منسوجات تلك البلاد ، ومن الخيول العربية والبغال المسرجة ، ومن كل نوع من معدات السفر ، وذلك فضلاً عن أنواع الهدايا في النوروز والمهرجان " [١].

يلاحظ من قبول السلطان محمود الغزنوي لهذه العروض ضمان استتباب الأمن على الطرق التجارية بين خراسان والهند والاستعداد لأي حركة عسكرية ليتمكن من السيطرة عليها .

عهد السلطان محمود الغزنوي ، أثناء التوسع في الإمارات الإسلامية إلى أحد القادة بحكم إقليم مقابل دفع مبلغ معين ، كما حدث في إقليم خوارزم مع الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه[٢]. حيث أقام السلطان محمود علاقات طيبة مع حكامه من آل مأمون حيث نتج عنها زواج أبي العباس المأمون خوارزمشاه من أخت السلطان محمود . [٣]

ولكن هذه العلاقات الطيبة ، لم تستمر طويلاً ، حيث طلب السلطان منه أن يقرأ الخطبة باسمه [٤]ولكن أبا العباس تردد في بداية الأمر ، مما اضطره أخيراً أن يدخل في صراعات مع السلطان محمود ، فعرض الأمر على كبار مستشاريه، وكبار قادته والذين أصروا الرفض في موضوع الخطبة حيث " أظهروا نفاراً وأصروا واستكبروا استكباراً " [٥]. ولكنهم تآمروا عليه وقرروا قتله وفعلاً " دخلوا عليه ذات يوم إليه على رسم السلام فإذا هو صريع كأس الحمام لا يدرى كيف قتل ، ومن أي وجه إليه قد وصل فبادروا إلى العقد لأحد أولاده ، وبسطوا أيدي الإصفاق على بيعته "[٦] .

---

(١)المصدر نفسه ، ص١٦

(٢)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص٢٥١

(٣)المصدر نفسه ، ج٢ ، والصفحة نفسها

(٤)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٢

(٥)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٣

(٦)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٤

ولما علم السلطان محمود بذلك غضب ، وقرّر الثأر للأمير المقتول ، فتقدم بقواته والتقى الجيشان سنة (٤٠٨هـ/١٠٨١م) . وقد بذل الخوارزميون مقاومة شديدة إلا أنهم هزموا أخيراً وجيء بزعمائهم إلى السلطان حيث أمر بصلبهم جميعاً .(١)

وهكذا استطاع السلطان محمود أن يحقق مطالبه بالقوة ، وقد استطاع أن يعين حاجبه الكبير التونتاش حاكماً من قبله على الإقليم (٢) " فأقام بها قامعاً نجوم الفساد وفاقئاً عيون الغي والعناد ، إلى أن نضب ماؤهم وأذعن للسلطان أفناؤهم " (٣)

خامساً : هدايا النوروز والمهرجان ، حفلات الزواج :

وفيما يتعلق بالهدايا فقد تلقى السلطان محمود كثيراًمن الهدايا من الكيانات السياسية المجاورة مثل القراخانية ، فقد ذكر بوزورث أن الأيلك نصر أرسل هدايا ثمينة للسلطان محمود مثل نقر المعادن ونوافيح المسك وقود المراكب وعبس الركائب وروق الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود الأوبار ونصب الختو (سن فيل البحر) وكركدان البحر وأحجار اليشب وطرائف الصين .(٤)

أ : النوروز : اهتمت الدولة الغزنوية بالأعياد الإسلامية ، مثل عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك، كما اهتمت أيضاً بالأعياد الفارسية (٥)والتي تأثرت بحضارة العرب وأساليب اللهو في هذه الأمم ، وكذلك تأثرت بالأمم التي اتصلت بها من ترك وهنود وغيرهم ، وتجمعت الأموال الضخمة في أيدي السلاطين

---

(١)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٨

(٢)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص٢٥٩ . كذلك انظر

Nazim , **The life and times of sultan Mahmud of Ghazna** (Cambridge : ١٩٣١) p.p ٥٨-٥٩

(٣)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص٢٥٩

(٤) Bosworth , **The Medieval history of Iran** , Afghanistan and central Asia variorum Reprints (London ١٩٧٧) p.p ٢٣٧ -٢٤٠

(٥)آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٢٩٢-٢٩٣

الغزنويين والأمراء ، وجباة الخراج منها فكثر المترفون المنعمون ، وكانوا ينفقون الأموال الكثيرة في هذه الأعياد وذلك حسب آدابهم وفنونهم .

فالنوروز كلمة فارسية مركبة من لفظين : أولهما نو بفتح النون أي الجديد وثانيهما روز أي اليوم . فكلمة نورزو في اللغة تأتي بمعنى اليوم الجديد [(١)]، وفي عيد النوروز كان الناس يحتفلون بتبادل الهدايا ، وكانوا يرشون بعضهم بالماء ، ويعتقدون أن ذلك يزيل الأمراض ، ويضعف حرارة المزاج [(٢)].

ونظراً لاهتمام الغزنويين بعيد النوروز فقد حدث البيهقي عن السلطان مسعود أنه جلس لاحتفال النوروز ، وقدمت له هدايا كثيرة ، وأقاموا زينات بهيجة ، واستمع للشعراء فقد كان مسروراً في أيام الشتاء هذه وخالي البال ، وكانت الفترة خلواً من الحوادث وأمر بالصلات للحاضرين وللمطربين أيضاً" [(٣)].

ب : المهرجان : هي من الأعياد الفارسية المعرّبة أصلها مهركان ، وعيد المهرجان يلي في الشهرة عيد النوروز ، وكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور وذلك في اليوم السادس عشر من شهر مهر .

وكان عيد المهرجان يلي عيد النوروز بعد مائة وأربعة وتسعين يوماً ـ أول أيام الشتاء (فصل البرد) وعلى عكس النوروز هو ابتداء فصل الربيع (فصل الحر) [(٤)].

ذكر البيهقي بأن السلطان مسعود اهتم كثيراً بعيد المهرجان ، فكان يجلس للمعايدة ولتقبل التهاني والهدايا من الوزراء والأمراء والولاة وذلك بقوله " وجاءت

---

(١)النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ج١ (من أصل ١٨ جزء) (القاهرة : ١٣٤٩-١٣٦٩هـ/١٩٢٩-١٩٤٩م) ص١٧٨

(٢)البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) **الآثار الباقية عن القرون الخالية** (ليبزنج : ١٩٢٣م) ص٢١٥ فؤاد عبد المعطي الصياد ، **النوروز وأثره في الأدب العربي** (بيروت : ١٩٧٢م) ص٢٦

(٣)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٦٧٣

(٤)مزيدا عن التفصيلات انظر : البيروني ، **الآثار الباقية** ، ص٢٢٣-٢٢٤

هدايا كثيرة منها ما هو من قبل والي صغانيان ثم هدايا كاليجار والي جرجان " [1] ويضيف قائلاً " وقد أتى غلمان الموكل بالفائدة ، وفي أيديهم الأسياخ وقد علق بها الدجاج والخصى والبيض المسلوق ، وكل ما يلزم الملوك في عيد المهرجان من المحمرات ، واجتمع أعيان الدولة في المجلس ، وجلس الندماء كذلك وبادروا جميعاً إلى اللهو والطرب ، وكانوا يتناولون الطعام على طريقة الإستلات * ، ودارت أقداح الشراب بكثرة ، كما عزفت القيثارة وآلات الطرب ، وأخذ المطربون في الغناء فكان يوماً عظيماً يليق بملك كهذا " [2].

يلاحظ اهتمام السلطان مسعود بهذا العيد " المهرجان " كما أكده المؤرخ المعاصر البيهقي في ذلك اليوم الذي يصادف فيه هذا العيد " في اليوم السادس عشر من شهر مهر " يجلس السلطان مسعود للمعايدة ولأخذ الهدايا من الوزراء والأمراء والولاة ، وعادة تكون هذه الهدايا قيمة ، ويتخلل هذه المناسبة ، قيام عرض عسكري يحضره السلطان وكبار المسؤولين في الدولة من الأعيان والولاة ، ويجلسون إلى المائدة المخصصة لهم حيث تحتوي على أنواع خاصة من المأكولات من الدجاج المشوي على الأسياخ والخصى والبيض المسلوق ، وبعد الانتهاء من تناول الطعام ، ينتقلون إلى مائدة أخرى أعدت للشراب الفاخر ، وأثناء ذلك يأخذ المطربون في العزف والغناء على القيثارة وآلات الطرب والغناء .

ج : **حفلات الزواج** : وأما في ما يتعلق بحفلات الزواج عند سلاطين الغزنويين وأمرائهم فيحدثنا البيهقي بمناسبات الزواج بما يلي :

---

(١)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٥٤١

الإستلات ، استات القصعة مسها بيده ، وفي الصحّاح السلاتة ما يؤخذ بالأصبع من جوانب القصعة لتنظف . البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٥٤١ هامش رقم (١)

(٢)المصدر نفسه والصفحة نفسها

حين موافقة السلطان محمود عن تزويج ابنته لوالي جرمان (منوجهر بن قابوس) بالغ كل من السلطان ووالي جرجان في الاحتفال بهذه المصاهرة ، حيث صار موكب العروس بما يشبه المظاهرة من غزنة ماراً بأملاك الغزنويين ، ويتقدم هذا الموكب كبار رجال الدولة الغزنوية أمثال الخواجة علي ميكائيل وأميرك البيهقي وغيرهما من المقربين للسلطان الغزنوي لتوصيل العروس معززة مكرمة إلى مقر زوجها في جرجان [١].

كذلك يحدثنا البيهقي أيضاً أن جهاز ابنة كاليجار ـ والي طبرستان وجرجان ـ عندما زفت إلى السلطان مسعود فاق الوصف بما ضمه من تحف ونفيس الجواهر فقد " حظي برضاء السلطان الكامل ، فأمر بإدخال رسل جرجان بالنهار ، ثم ذهبوا ليلاً بالمهود التي أعدت لزوجات عظماء نيسابور ، وزوجات كل من الرئيس والقضاة والفقهاء والأكابر والعمال لاستقبال مهد بنت كاليجار " [٢] . ويضيف البيهقي قائلاً " وأمر السلطان بأن ينزل مهد العروس بها مع الجواري والمربيات والمشرفين والنساء والخدم والخادمات . ورجع أكابر نيسابور وكانت هذه المدينة تلك الليلة من كثرة ما اضيئ فيها من الشموع والمشاعل كأنها في طالعة النهار " [٣].

ويختتم البيهقي قوله حول ذلك " وطلعت شمس السلطان المشرقة على عروسه التي كانت كالقمر، وكان لأهل جرجان من هذه الشمس مزيد من الفخار والشرف، وتم الزفاف ببركة الله" [٤] .

---

(١)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٢٢٥

(٢)المصدر نفسه ، ص٤١٨

(٣)المصدر نفسه ، ٤١٩

(٤)المصدر نفسه والصفحة نفسها

يلاحظ من كل ما سبق ذكره أن حفلات الزواج وغيرها من المناسبات ، كانت تقام بشيء من الأبهة والعظمة ، وذلك بسبب التقدم والازدهار لدى الدولة الغزنوية في عهدها الأول من حكم السلطان محمود وولده مسعود ، إلا أن هذه الاحتفالات التي تميزت بالأبهة والعظمة بدأت تتراجع في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مسعود لخراسان ، وذلك بسبب المواجهة العسكرية الصامدة من قبل السلاجقة ، والهزائم المستمرة على الجيش الغزنوي .

وفيما يتعلق بزواج عامة المجتمع ، فقد تميزت بالبساطة " إذ تزف المرأة إلى بيت الرجل ، حيث يقام حفل بسيط ، ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته " [١].

ويرى السمرقندي أنه في بعض الحالات كان الأب يكدح ويجد في سبيل الحصول على الجهاز لابنته من ماله الخاص كما حصل مع الشاعر الفردوسي [٢]. الذي نظم ما يقارب المائة بيت في هجاء محمود الذي حرمه من الجائزة التي كان يتوقع الحصول عليها مقابل نظمه الشاهنامة للسلطان محمود الغزنوي ، " حيث كان يأمل أن تكون عالية لتدفع عنه في شيخوخته العناء " [٣].

سادساً : غنائم الحرب : من المصادر المالية المهمة للدولة الغزنوية : غنائم الحرب وإذا دققنا النظر في هذه الغنائم فنجدها كثيرة ، حيث أسهمت أموال هذه الغنائم في علو شأن الدولة، كما جلبت لها شهرة واسعة . وعلى سبيل المثال الحملات العسكرية المكثفة التي قام بها السلطان محمود وابنه مسعود على بلاد الهند وما غنمه من أموال كثيرة ، استفاد منها في المنشآت العمرانية وخاصة المساجد

---

(١)بدر عبد الرحمن محمد ، رسوم الغزنويين ، ص١٣٨ نقلاً عن مليحة رحمة الله ، صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي ، ص٣١ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٧ لسنة ١٩٧٠

(٢)العروضي السمرقندي: أحمد بن عمر بن علي النظامي ، (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) جهار مقالة (المقالات الأربع) ، شرح وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني ، تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب العزام (القاهرة : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م) ص٥٥

(٣)المصدر نفسه ، جهار مقالة ، ص٣٧

وفيما يتعلق بالحملات العسكرية على بلاد الهند في عهد السلطان محمود فقد اختلف المؤرخون حولها فمن وجهة هذا الاختلاف نرى أن بعض المؤرخين قالوا إنها بلغت (١٢) حملة عسكرية [١] والبعض الأخر قال إن هذه الحملات التي وجهت إلى بلاد الهند بلغت سبع عشرة حملة [٢]. وأنا أميل إلى الرأي الثاني بأن عدد الحملات كانت سبع عشرة حملة في مدى سبعة وعشرين عاماً فيما بين عامي (٣٩٢-٤١٧هـ/١٠٠٢-١٠٢٦م) لكونها أكثر ترجيحاً وكانت الغنائم التي استولى عليها السلطان محمود الغزنوي أثناء حملاته لبلاد الهند كما يلي [٣] :

مما تقدم ذكره نرى أن الحملات العسكرية التي سيرها السلطان محمود الغزنوي إلى بلاد الهند ، كانت بالدرجة الأولى لنشر الإسلام في تلك البلاد ، ثم الاستفادة من الغنائم الكثيرة في تحسين الوضع الاقتصادي للدولة الغزنوية ، وإقامة المشاريع وخاصة بناء المساجد والمدارس ومما يثبت ذلك الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى : ما ذكره المؤرخ ابن كثير أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليترك لهم الصنم الأعظم ، ولكنه رفض وقال قولته المشهورة " إني فكرت في الأمر الذي ذكر، فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم

---

(١)أ . ج ، براون ، **تاريخ الأدب في ايران** ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٥٤م) ص١١١

Stanly lane-Pools The Mohammadan Dynasties (New York : ١٩٦٥) ٢٣٦-٢٣٧

(٢)أحمد محمود الساداتي ، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية** ، ج١ (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٥٩م) ص٨٧

(٣)عبد الكريم حتاملة ، **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية** (٣٥١-٥٨٢هـ/٩٦١-١١٨٦م) أطروحة دكتوراه في الأداب (التاريخ) فئة أولى (دولة) منشورة (إربد : مطبعة البهجة ، ٢٠٠١م) ص١٨٠

فكسره فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة "[1].

وعن الغنائم التي غنمها السلطان محمود في غزوته (سومنات) سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) يحدثنا المؤرخ ابن الأثيرعن بيت الصنم الذي كسره ، وأخذ بعضه إلى غزنة فجعله عتبة الجامع بقوله " وكان بيت الصنم مظلماً ، وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا (من) * كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسله فيصوّت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين إلى عبادتهم ، وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية ، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر، كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم ، وقيمة ما في البيوت تزيد على عشرين ألف ألف دينار "[2] (٢٠ مليون دينار) وهذا يؤكد تماماً أن السلطان محمود الغزنوي كان هدفه هو نشر الإسلام في تلك الديار وأراد أن يبرهن لأهلها أن هذا الصنم الكبير لا ينفع ولا يضر .

الحقيقة الثانية : ما ذكره المؤرخ النيسابوري بنفس المعنى أن محموداً قال في ذلك أيضاً قولته المشهورة " أخشى أن يقول الخالق أمام الجميع يوم الحساب ، اصغوا جميعاً إلى آزر ومحمود فذلك ناحت الصنم وهذا بائعه "[3].

---

(١)ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء القرشي ، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) **البداية والنهاية** ، ج١٢ (بيروت : ١٩٧٧م) ص٢١

* **المن** : من الأوزان التي استخدمت في العصر الغزنوي ، وقد ذكر البيهقي أن المن من الخبز بثلاثة دراهم . البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١

(٢)ابن الأثير ، **الكامل** ، ج٩ ، ص٣٤٥

(٣)النيسابوري: فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري المتخلص بعطار ، (ت ٦٢٧هـ/١٢٣٠م) منطق الطير ، ترجمة بديع محمد جمعة (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٧٩م) ص٣٥٠

وما ذكره المؤرخ عباس إقبال بأن السلطان محمود الغزنوي كان رجلاً بخيلاً عابداً للمال طالباً للثروة ، ومع أنه كان يتذرع في غزواته للهند بنشر الإسلام والجهاد والغزو في سبيل ذلك في الظاهر ، وأضاف قائلاً فقد كان غرضه الأصلي نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقدوم بغنائمها ، وبالرغم من أنه أنفق جزءاً زهيداً من هذه الغنائم في التعمير: أبنية وحدائق وآثار خيرية في غزنة وبلخ وطوس ، ولكنه كان يكنز أكثرها ولا يصل للشعب شيء منها [1].

هذا الوصف للسلطان محمود الغزنوي من قبل إقبال ، والذي يكيل فيها التهم الحاقدة على الغزنويين ولعل يعود ذلك بأن الغزنويين من العناصر التركية وهم الذين أنهوا الدولة السامانية الفارسية ، وعند مجيء السلطان محمود إلى السلطة ، استطاع أن يجذب إلى بلاطه الشعراء والكتاب العلماء ، ويعني ذلك ازدهار اللغة الفارسية التي أصبحت لغة أدب قوي حتى بلغت كمال ارتفاعها على يديه ، وهذا ما حدث مع الفردوسي الذي هو من أصل فارسي ومتعصب لفارسيته وقد تجلى ذلك في منظومته الشاهنامة [2] والتي مجّد فيها حكام إيران الأسطوريين ، ونظم ما يقارب المائة بيت في هجاء محمود ، كما بدا أيضاًالخلاف العقائدي فالسلطان محمود كان سنياً ، لاحق الإيرانيين الخارجيين مثل الإسماعيلية والروافض على الإسلام بالقتل وهو فرض المسلم الصادق .

---

(١)الإشتياني : عباس إقبال الإشتياني ، (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)

تاريخ إيران بعد الإسلام ، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م) . نقله عن الفارسية وقدّم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور ، راجعه الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي (القاهرة : دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م) ص١٨٥

(٢)الشاهنامة : منظومة طويلة وضعها الفردوسي في ستين ألف بيت وقد أمضى في نظمها ما بين (٢٥-٣٠ سنة) سجل فيها الفردوسي تاريخ الفرس من خلال أساطيرهم وقصصهم المتناقلة ، وأظهر فيها تعصبا لقومه وملوكهم . حامد عبد القادر ، قصة الأدب الفارسي ، ج١ (القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥١م) ص٢٢١ . عبد الكريم حتاملة ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية ، ص٢١٨ هامش رقم(١)

فاعلية الوزراء في الإصلاح المالي والاقتصادي :

بالرغم من هذه السياسة الخاطئة من قبل الغزنويين فإننا نجد من حاول تلافي هذه الأزمة المالية والحد من تفاقمها ، ومن هؤلاء الذين قاموا بالإصلاح المالي والاقتصادي ، الوزراء الذين خدموا الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود وولده مسعود ، وهؤلاء الوزراء أسهموا في إنجاح الدولة الغزنوية ببسط سيطرتها على الشرق الإسلامي ، كما تعاونوا في خدمة هذه الدولة في شتى المجالات والميادين معتمدين على خبراتهم الطويلة والتي كان لها الأثر الفعال .

فالوزير أحمد بن حسن الميمندي ، له الفضل الكبير في حفظ مالية الدولة الغزنوية وأنظمتها وله باع طويل في الإصلاح المالي ، وقد أحبه السلطان محمود كثيراً فولاه " عرض عساكره في أقطار ممالكه وزاده أعمال بست والرخج وما والاهما بأموالها وارتفاعاتها " [(١)]، كذلك فوضه " مهمات الإمارة وأمره بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الأموال محكماً في الحل والعقد مخيراً بين الأخذ والرد " [(٢)].

ويروي لنا المؤرخ العتبي المعاصر عن نشاط وفعالية هذا الوزير بقوله " وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الأمور ونظم المنثور ووظف الأموال وصرف العمال ..... وشاهد الأمور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة الحدود والأموال وافرة الريوع* حافلة الضروع " [(٣)] هذه الرواية التي أوردها العتبي توضح مقدرة وفاعلية هذا الوزير في جباية المحاصيل الخراجية ، وقبض واردات بيت المال ، كما توضح أيضاً فعاليته في ضبط الأمور المالية حتى أصبحت خزائن

---

(١)العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ج٢ ، ص١٦٦

(٢)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٩

وافرة الريوع ، حافلة الضروع : وافرة الريوع : جمع ريع النماء حال من الأموال . **حافلة الريوع** : يقال ضرع حافل أي ممتلئ لبنا .العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ج٢ ، ص١٦٩

(٣)المصدر نفسه والصفحة نفسها

الدولة المالية مليئة بالأموال بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر المؤرخ البيهقي بأن السلطان محموداً أمر الكتاب أن يسجلوا كل ممتلكات الدولة بالإضافة إلى ممتلكاتهم الخاصة وذلك بسبب اتهامهم بالأنانية وحب الذات وعدم الاهتمام بمصالح الدولة ثم طلب الخواجة القوائم وقابلها بما سجله خازنو السلطان ومشرفو الدركاة وقدموها للسلطان صنفاً صنفاً ، وكانت أموالاً كثيرة لا تحصى من الذهب والفضة والملابس غير المخيطة ، وغلمان الأتراك الممتازين والخيول والنجائب الغالية ، وكل شيء من أعظم ما تزدان به القصور والدور السلطانية ، فأعجب السلطان بها أيما إعجاب وقال إن الخواجة رجل خالي الوفاض فلم لا يأخذ هذه الأموال لنفسه ؟ ثم أمر عبدوس أن يحمل إليه عشرة آلاف من الدنانير وخمسمائة ألف درهم وعشرة من خيرة الغلمان الأتراك وخمسة من الخيل الخاصة وبغلتين مسرجتين وعشراً من النجائب " [١].

ويلاحظ أيضاًأن الوزير الميمندي أثناء عودته للوزارة مرة ثانية في عهد السلطان مسعود بن محمود سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) قام بهذه الفاعلية في إعادة تنظيم الأمور المالية بدقة ومحاسبة العمال في الأقاليم ، ثم رفع الظلم عن الفلاحين للضرائب الفادحة الذي فرضها الوزير حسنك .

ومن الوزراء الذين أبدوا فعالية ومقدرة في مالية الدولة الغزنوية الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني ، وبالرغم من أنه كان " جاهلاً لآداب اللغة العربية " [٢] إلا أنه كان ماهراً في ضبط أمور السلطنة ، ويؤكد ذلك البيهقي بقوله : " وكان قصره مقراً للاحتفالات الملكية الخاصة " [٣].

---

(١)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص١٦٨

(٢) Tripathi , R.p. Some Aspects of Muslim Administration (Allahabad , ١٩٧٨) p. ١٦٤

(٣)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ص٥٤٢-٥٤٣

بالإضافة إلى ذلك فقد نشط في جعل اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للدولة حيث انتشرت انتشاراً واسعاً بين أوساط الشعراء والأدباء ولا سيما الشاعر الفردوسي المشهور الذي نظم القصائد الشعرية في مدح الوزير الإسفرائيني ولكن هذه العلاقة الطيبة بينهما لم تدم طويلاً إلا أن السلطان محموداً أمر بحبسه ومطالبته بالأموال وهذا ما أكدّ عليه المؤرخ العتبي بقوله: " فطالب الوزير منهما بما اقتطعه واتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة فهما عضة العتب بثقافة ❖ أظهر الاستفادة وجلب إلى نفسه البلاء وأسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً " (١).

ولم تقتصر سياسة الإصلاح المالي والاقتصادي والإداري على الوزير الإسفرائيني فقط بل قام الوزير : أحمد بن حسن بن ميكال المشهور في عهد السلطان محمود بحسنك (٢)بجهد متواصل في سبيل نهضة الدولة الغزنوية إدارياً ومالياً واقتصادياً بالرغم من أنه كان جاهلاً بالمعارف والعلوم وليس له معرفة ودراية بالحساب " فقد علت منزلته ولكنه لا يعرف الحساب والكتابة " (٣). بالرغم من أن العلاقة الطيبة كانت بين السلطان محمود وحسنك إلا أنها لم تستمر طويلاً ، إذ تبنى حسنك سياسة طائشة متهورة أدت أخيراً إلى شنقه سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) وهذا ما أكده البيهقي بقوله " وجاءوا بحسنك إلى المشنقة .... وأمروا حسنك بخلع ملابسه ، فمد يده وأحكم رباط إزاره وعقد أسفل سراويله ، ثم خلع جبته وقميصه وطرحهما مع عمامته وبقي عرياناً بالإزار واضعاً إحدى يديه على الأخرى " (٤).

---

(١)عضة العتب بثقافة : أي مسه من السلطان حدّة الكلام .العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص١٥٩

(٢) Muhammed Habib: Sultan Mahmoud , p.٦٨

(٣)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٣٩٨

(٤)المصدر نفسه ، ص١٩٩

وبعد التخلص من حسنك، قرر السلطان مسعود سنة (٤٢٢هـ /١٠٣١م) إعادة الميمندي للوزراة مرة ثانية ، وفي هذه المدة أبدى الوزير كفاءة ومقدرة في إعادة تطوير السياسة المالية والاقتصادية عن طريق رفع الظلم الذي لحق سكان الأقاليم من جراء ما فرضه حسنك من ضرائب أثقلت قدراتهم المادية .[١].

وفيما يتعلق بفاعلية الوزير أحمد بن عبد الصمد في عملية الإصلاح المالي في الدولة الغزنوية فيحدثنا البيهقي بذلك في قوله " وقام بعمل الوزارة على خير وجه ووضع القواعد والنظم ، فقد كان عظيم الكفاءة والجدارة والوقار وكان أديباً فاضلاً عارفاً بآداب المعاملة ، ولقد كان مع كثرة محامده آية في الرجولة ، وقد تمت على يديه أعمال كثيرة ، شهدت على ما كان لهذا الرجل من الفضل "[٢].

إلا أن السلطان مسعوداً أساء الظن به ، تحت تأثير أعدائه الذين أبلغوا السلطان " أن للوزير حديثاً مع الأعداء أراد منه التمهيد لمجيء السلاجقة إلى خراسان "[٣]. وقد تعجب الوزير من سوء ظن السلطان به ، وتدخل أبو نصر مشكان في هذا الموضوع وتمكن من إزالة شك السلطان في ولائه [٤]. وبقي الوزير أحمد عبد الصمد وزيراً نافذ الرأي حتى وفاة السلطان مسعود سنة (٤٣٢هـ/١٠٤١م) .

أما كيفية إدارة الغزنويين لميزانية الدولة ، فكان السلطان محمود الغزنوي مصدر جميع السلطات وعنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشؤون الدولة ، فقد كان له حق التصرف المطلق بأنواع الدخل ، فكانت الأموال الهائلة تصل إلى غزنة من

---

(١)أحمد جوارنة ، **طبيعة الوزارة** ، ص٧٧

(٢)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ،ص٣٩٨

(٣)المصدر نفسه ، ص٥١١

(٤)المصدر نفسه ، ص٥١١ـ٥١٢ . كذلك انظر بدر عبد الرحمن محمد ، **رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية** (القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٨٧م) ص٩٣

الولايات التابعة للدولة الغزنوية حيث تصرف على بناء المساجد والمدارس ، وشق الطرق ، وتجهيز الحملات العسكرية المستمرة طيلة عهود السلطان محمود وولده مسعود .

ويحدثنا المؤرخ العتبي المعاصر أن السلطان محموداً عندما أنهى قتاله مع أعدائه من الهنود سنة (٤٠٩هـ/١٠٨١م) وتحطيم أصنامهم ، عاد بثروة هائلة إلى دار الملك بغزنة ، أراد أن ينفق هذه الأموال بأعمال الخير لذلك " أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه من أنفال أولئك الغلف الأغفال في عمل بر يشيع جدواه ويريع إلى أمر الإحتساب ومناه وكان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع " [١] ، وقد أنفق السلطان محمود على بناء هذا المسجد كثيراًمن الأموال . وخاصة ساحة المسجد التي فرشت " بالمرمر ، منقولاً من كل فج عميق ومضرب سحيق " [٢]، ويضيف العتبي قائلاً " وأما التذهيب فحسبك به أن صناع الرصافة قد عزت عليهم الحقاق وصحّ لهم تكليف ما لا يطاق وليس بصفائح الزرياب لكنه ضبات* الذهب الأحمر ، أفرغت عن صور الأصنام المجذوذة والبددة المأخوذة فطفقت تعرض على النار بعد أن كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد أن عبدت بالخدود والعنافق " [٣]. ولم يكتف السلطان محمود بذلك ، فقد اهتم كثيراًبناء البيوت في المسجد للقائمين عليه " وقد أفرد السلطان لخاصته بيتاً في المسجد مشرفاً عليه مكعب البناء موسع الفناء متناسب الزوايا والأرجاء فرشه وإزاره من الرخام

---

(١)العتبي ، تاريخ اليميني ، ص٢٩١

(٢)المصدر نفسه ، ص٢٩٣

* ضبات الذهب : جمع ضبة وهي حديدة عريضة يضبب بها الباب والضبة ما يشعب بها خلل الإناء ووصف الذهب بالاحمرار إشعاراً بأنه خالص لا غش فيه . العتبي ، تاريخ اليميني ، ص٢٩٤-٢٩٥

(٣)المصدر نفسه ، ص٢٩٥

كدّت عليه الظهور حتى نقل من أرض نيسابور وقد أحيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الأحمر مكحلاً باللازورد في تعاريج من ألوان المنثور والورد "[١].

واهتم أيضاً بالتعليم في داخل المسجد على المذاهب الإسلامية ، ولتحقيق ذلك فقد أضاف مدرسة إلى جانبي المسجد حيث " تشتمل بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين "[٢].

كذلك أراد السلطان محمود أن تبنى المساجد في نواحي الهند ، (يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان)[٣]وهذا ما يؤكد بأن الهدف العام للسلطان محمود الغزنوي في تسيير الحملات العسكرية هو نشر الإسلام في تلك البلاد وليس جمع الأموال .

وفيما يتعلق بالمنح والهبات : فقد كانت تشكل دليلاً قوياً على مدى سيطرة السلطان مسعود على الأموال ، فمن المثير للعجب كثرة وضخامة الأموال التي كان السلطان يمنحها لمن يشاء فلو كانت هذه الأموال من مصدر واحد لعجز هذا المصدر عن توفيرها .

كما أن هباته التي كانت من ألف دينار أو خمسمائة دينار أو عشرة آلاف درهم أو أقل أو أكثر من ذلك ، فلم يكن لها عد أو حصر وكثيراً ما كان يهبها للشعراء والندماء والخدم ، إذ كان يتحين الفرص ليهبهم شيئاً ، وقد تحدث البيهقي حول ذلك بقوله : " وقد كانت هباته في أول عهده بلا حساب ولكن تلك الرياح تراخت في آخر أيامه قليلاً ، ومن عادات الزمان أن شيئاً لا يبقى على حال واحدة ، إذ كل الأشياء عرضة للتغيير والتبديل والنقص والكمال "[٤].

---

(١)المصدر نفسه ، ص٢٩٦ . كدّت عليه : بمعنى التعب والمشقة .

(٢)العتبي ، **تاريخ اليميني** ، ص٢٩٩

(٣)المصدر نفسه ، ص١٤٦ (ذكر وقعة ناردين)

(٤)البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ١٣٨

وأما هباته وصلاته للشعراء فإنها لا تعد ولا تحصى فمثلاً " فقد وهب في ليلة للشاعر علوي الزينبي ما يساوي فيل وار أي ألف ألف من الدراهم التي يبلغ عيار كل عشرة منها تسعة دراهم ونصف من خالص الفضة ، وأمر أن تحمل هذه الجائزة الكبيرة على فيل إلى دار العلوي المذكور [1].

من كل ما سبق ذكره نرى أن السلطان محمود وولده مسعود وحبهما في جمع الأموال من مصادرها المختلفة والتي تحدثنا عنها سابقاً ثم إنفاقها على الإصلاحات الزراعية وتشييد المرافق العامة ، ونفقات الحملات العسكرية ، ثم أسلوب الحياة المترفة التي كان يحياها البلاط الغزنوي وخاصة في عهد السلطان مسعود ، الذي كان مبذراً للأموال الكثيرة لإنفاقها في ملذاته ومجالس شربه ، ورحلات صيده أدى كل ذلك إلى وقوع الدولة الغزنوية في ضائقة مالية كبيرة من جراء النفقات ، مما أدى أخيراً إلى انهيار الاقتصاد الغزنوي وانتشار الفساد المالي واستغلال كبار رجال الدولة لنفوذهم في جمع الهدايا والأموال .

* * *

(١)المصدر نفسه ، ص١٣٧ ، ٨٠٣

الخاتمة :

بعد هذا العرض للإدارة المالية في الدولة الغزنوية في المدة الممتدة ما بين (٣٨٨-٤٣٢هـ/٩٩٨-١٠٤٠م) يمكننا ملاحظة ما يلي :

أولاً : قوة شخصية السلطان محمود والتي طغت على كل أجهزة الدولة ، حيث جمع كل السلطات في يديه ، حتى إنه كان لديه أحساس بأن الوزير عدو له وأنه لا يجوز أن يشاركه أحد في الحكم ، وهذا ما أكده البيهقي بقوله : " إن السلطان إذا استوزر أحداً فإنه يعاديه بعد أسبوع رغم حبه إياه إذ يتصوره شريكاً له في الملك "[1] .

ثانياً: أبرزت هذه الدراسة أن مصادر الدخل عند الغزنويين زمن السلطانين محمود وولده مسعود هي : الأراضي والممتلكات الخاصة ، والغرامات والهدايا وغنائم الحروب ، والضرائب العامة والمصادرات ، لذلك اهتم الغزنويون في هذه المصادر لإنفاقها في مشاريع الدولة الغزنوية ، كما سيروا الحملات العسكرية إلى بلاد الهند ، من أجل السيطرة عليها ، ونشر تعاليم الإسلام في ربوعها .

ثالثاً : بينت الدراسة أن هناك بعض المؤرخين أمثال المؤرخ عباس إقبال الإشتياني والذي يصف السلطان محموداً بأنه كان رجلاً بخيلاً عابداً للمال ، طالباً للثروة وأن هدفه كان نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقدوم بغنائمها من أجل نهبها والاستيلاء على أكثرها ، وقد أوضحت أن ما قاله عباس إقبال لا يستند إلى الموضوعية وهو يكيل للسلطان محمود كل الاتهامات ، وقد أوردت أكثر من مثال على ذلك .

رابعاً : أسهمت السياسات الاقتصادية الخاطئة في إضعاف الدولة الغزنوية ، وجلب عليها سخطاً عاماً ، ففي المراحل الأولى من نشأة الدولة ، كانت الأموال

---

(١)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٣٦٠

تنهال على خزينتها من جراء الغنائم والفتوحات لبلاد الهند والتي كانت تستنزف الكثير من هذه الأموال ، ثم تلا ذلك مرحلة انكمشت فيها حدود الدولة ، وقلت مواردها ، فتدهورت أوضاع الجيش القائم على حمايتها .

خامساً : أوضحت الدراسة أن أسلوب الحياة المترفة التي كان يحياها البلاط الغزنوي وخاصة في عهد السلطان مسعود ، الذي كان مبذراً للأموال الكثيرة لإنفاقها في ملذاته ومجالس شربه ورحلات صيده ، أدى كل ذلك إلى وقوع الدولة الغزنوية في ضائقة مالية كبيرة من جراء النفقات ، مما أدى أخيراً إلى الانهيار الاقتصاد الغزنوي ، وانتشار الفساد المالي .

سادساً : ركزّت هذه الدراسة على دور بعض وزراء الدولة أمثال : الإسفرائيني ، والميمندي وحسنك وغيرهم في إصلاح الإدارة المالية ، وهؤلاء قاموا بإصلاحات كثيرة في أجهزة الدولة ، فمنهم من حمدت له هذه الأعمال ومنهم من لقي جزاء هذه الأعمال السجن ومصادرة أمواله ، بل الموت كما كان مصير الوزير حسنك .[1]

سابعاً : كشفت لنا هذه الدراسة عن محاولة السلطان محمود وولده البحث عن وسيلة يتم بها التعويض عن نقص الموارد المالية ، فاستمروا في فرض الضرائب، واستخدموا أعنف الأساليب في الحصول عليها ، وقد حدث في إحدى المرات ، أن السلطان محموداً كان في حاجة ماسة لتمويل حملة عسكرية في مدى يومين وكانت النتيجة كما يقول العتبي " أن الناس سلخوا سلخ الغنم "[2] .

* * *

(١)البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص١٩٩

(٢)العتبي ، تاريخ اليميني ، ج٢ ، ص١٦٨

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية :

أولاً : قائمة المصادر :

١- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن عبد الواحد الشيباني ، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
الكامل في التاريخ ، ج٩ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩م)

٢- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)
كتاب صورة الأرض (ليدن : ١٩٦٧م)

٣- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء القرشي ، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية ، ج١٢ (بيروت : ١٩٧٧م)

٤- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليبزنج : ١٩٢٣م)

٥- البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ، (ت ٤٧٠هـ/١٠٩٢م)
تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت (بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٢ م)

٦- السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي النظامي ، (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)
جهار مقالة (المقالات الأربع) ، شرح وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني ، تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب العزام (القاهرة : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م)

٧- الإشتياني : عباس إقبال الإشتياني ، (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)
تاريخ إيران بعد الإسلام ، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م) . نقله عن الفارسية وقدّم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور ، راجعه الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي (القاهرة : دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩ م).

٨- الإصطخري : أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت ٣٤١هـ/٩٥٩م)
المعروف بالكوفي . **المسالك والممالك** ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م)

٩- العتبي : أبو النصر بن عبد الجبار ، (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)
تَاريخ اليميني ، ج٢ وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي المنيني المتوفى سنة ١١٧٢م وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي (القاهرة : ١٢٨٦م)

١٠- الفردوسي : أبو القاسم الفردوسي ، (ت٤١١هـ/١٠٢١م)
مقدمة الشاهنامة ، ترجمة الفتح بن علي البنداري ، علق عليها عبد الوهاب عزام (القاهرة : ١٩٣٢م)

١١- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

١٢- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)
نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج١ (من أصل ١٨ جزء) (القاهرة : ١٣٦٩-٣٤٩هـ/١٩٢٩-١٩٤٩م)

١٣- النيسابوري : فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري المتخلص بعطار، (ت ٦٢٧هـ/١٢٣٠م)
منطق الطير ، ترجمة بديع محمد جمعة (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٧٩م)

ثانياً : قائمة المراجع العربية الحديثة والمترجمة :

١٤- أحمد الجوارنة ، **طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية** (مستل من المجلد العاشر ، العدد الثالث من مجلة أبحاث اليرموك) جامعة اليرموك ١٩٩٤م

١٥- أحمد محمود الساداتي ، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية** (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٥٩م)

١٦- آدم متز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** أو عصر النهضة في الإسلام نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة (بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)

١٧- أ . ج ، براون ، **تاريخ الأدب في إيران** ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٥٤م)

١٨- بدر عبد الرحمن محمد ، **رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية** (القاهرة مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٨٧م)

١٩- حامد عبد القادر ، **قصة الأدب الفارسي** ،ج١ (القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥١م)

٢٠- عبد الكريم حتاملة ، **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية** (٣٥١-٥٨٢هـ/٩٦١-١١٨٦م) أطروحة دكتوراه في الآداب (التاريخ) فئة أولى (دولة) منشورة (إربد : مطبعة البهجة ، ٢٠٠١م)

٢١- فؤاد عبد المعطي الصياد ، **النوروز وأثره في الأدب العربي** (بيروت : ١٩٧٢م)

٢٢- محمد حسن العمادي ، **خراسان في العصر الغزنوي** (إربد مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية ١٩٩٧م)

ثالثاً : قائمة المراجع الأجنبية :

١- Barthold , w . **Turkerstan Down to The mongel Invasion** (London: ١٩٦٣)

٢- Bosworth , **C.E. The ghaznavids their Empire in Afghanistan** and Eastern

i. Iran (Edinburgh , ١٩٦٣)

ii. **The Medieval history of Iran , Afghanistan and central Asia**

iii. **variorum Reprints** (London ١٩٧٧)

٣- Stanly lane-**Pools The Mohammadan Dynasties** (New York : ١٩٦٥)

٤- Meyer , M.W **South Asia Ashort History of subcontinent** (New Jersey : ١٩٦٧)

٥- Muhammed Habib: **Sultan Mahmoud of Ghaznin** (Lahore : ١٩٧٨)

٦- Tripathi , R.p. **some Aspects of Muslim Administration** (Allahabad , ١٩٧٨)

٧- Nazim , **The life and times of sultan Mahmud of Gazna ,** (Cambridge : ١٩٣١)

* * *

الملاحق

قائمة بأسماء الغزوات التي قام بها السلطان محمود الغزنوي لبلاد الهند

الرقم	الغزوة	هـ	م	النتائج (الغنائم)	المصدر أو المرجع
١	بعض الحصون والقلاع في إقليم لمغان	٣٩٢	١٠٠١	استطلاعية ثم العودة إلى غزنة	Nazim The life of sultan mahmoud p.٣٦
٢	بشاور غرب الهند	٣٩٢	١٠٠١	- أسر ملك الهند جيبال وإخضاع مدينة بشاور - غنائم كثيرة لا تحصى	العتبي، تاريخ اليميني ، ج١ ، ص٣٦١
٣	بهاطية / عاصمة البنجاب	٣٩٥	١٠٠٤	- ضم هذه المنطقة إلى ممتلكاته - غنائم (١١٠) فيل + أموال لم يذكر عددها	ابن الأثير الكامل ، ج٩ ، ص١٨٤
٤	الملتان	٣٩٦	١٠٠٥	- استسلام أبي الفتوح - دفع للسلطان محمود ٢٠ ألف دينارا سنويا	ابن الأثير ، الكامل ج٩ ، ص١٨٦
٥	الهند / ارتداد نواسه شاه عن الإسلام	٣٩٧	١٠٠٦	- القبض على نواسه وإيداعه السجن - استخلف عليها بعض اصحابه	ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ص١٩٢
٦	فتح قلعة بهيم نغر	٣٩٨	١٠٠٧	- الانتصار على ابرهمن بال بن اندبال (الأمان) — الغنائم أ- جواهر لا يعد ب- دراهم ٩٠ ألف درهم شامية ج- أواني ذهبيات وفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة "من"	العتبي، ج١ ، ص٩٤-١٠١ ابن الأثير ، ج٩ ، ص٢٠٧
٧	ناردين / الهند	٤٠٠	١٠٠٩	- الصلح — مال يؤديه ملك الهند + ٥٠ فيل . يكون في خدمة محمود ألفان من الهنود	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٢١٣
٨	الملتان	٤٠١	١٠١٠	- القضاء على حاكم الملتان بعد نقضه للعهد	Habib , p.p. ٣١-٣٢
٩	ناردين (قلاع البنجاب)	٤٠٤	١٠١٣	- الإنتصار والاستسلام - غنائم : مال فيل ، سلاح وغير ذلك — لقبه الخليفة العباسي القائم بأمر الله لقب	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٢٤٤

				نظام الدين	
١٠	تانسير / معبد	٤٠٥	١٠١٤	- جلب ضم تانسير الكبير إلى غزنة - ضم إقليم البنجاب الى ممتلكات الغزنويين - أموال كثيرة + فيلة	العتبي ، ج٢ ، ص١٥٣-١٥٦ إقبال ، تاريخ إيران ، ص١٧٨
١١	الهند	٤٠٦	١٠١٥	- ضل الطريق ووقوعه مع عسكره في مياه فاضت من البحر حتى تخلص ثم العودة الى خراسان	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٢٦٠
١٢	قشمير وقنوج صاحبها راجيبال	٤٠٧	١٠١٦	- إسلام صاحب قشمير - إخضاع مدينة قنوج - غنائم من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألفا وثلاثمائة مثقال	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٢٦٦
١٣	معبد موترا ، شمال مدينة اكرا	٤٠٩	١٠١٨	- استسلام مدينة اكرا - الغنائم : جميع نفائس المدينة ثم صنم من الذهب	إقبال ، تاريخ ايران ، ص١١٨
١٤	إحدى القلاع الهندية	٤١٤	١٠٢٣	- الصلح - تقديم مال للسلطان محمود هدايا : طائر على هيئة القمري من ضاحيته إذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عينا الطائر	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٣٣٣-٣٣٤
١٥	سومنات - معبد الهند العظيم	٤١٦	١٠٢٥	- الاستيلاء على المعبد - هزيمة الجنود - تكسير الصنم - غنائم كثيرة من الذهب والفضة والتي تقدر بالملايين ، تقدير قيمة النفائس ٢٠ مليون دينار	إقبال ، تاريخ إيران ، ص١٧٩
١٦	انهلوارة / قلعة	٤١٦	١٠٢٥	إخضاع القلعة	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٣٤٥-٣٤٦
١٧	مدينة نرسي	٤٢١	١٠٣٠	- إخضاع المدينة عن طريق أحمد بن ينالتكين نائب السلطان محمود بسبب مرضه - غنائم من الحرب	ابن الأثير ، ج٩ ، ص٣٩٥-٣٩٦

وزراء سلاطين الغزنويين في عهد السلطان محمود وولده

الرقم	السلطان	الوزير	ملاحظات	الخليفة العباسي
١	السلطان ناصر الدولة سبكتكين(٣٦٦-٣٨٧هـ/ ٩٧٦-٩٩٧م)	* أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني (٣٦٦-٣٨٧هـ/ ٩٧٦-٩٩٧م)	طيلة حكم السلطان سبكتكين	الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م) القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣١م)
٢	السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ/ ٩٩٨-١٠٣٠م)	* أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني (٣٨٧-٤٠١هـ/ ٩٩٨-١٠١١م) * أحمد حسن الميمندي (٤٠١-٤١٢هـ/ ١٠١١-١٠٢١م) * أحمد بن ميكال حسنك (٤١٢-٤٢٢هـ/ ١٠١١-١٠٣٣م)	عزل	القادر بالله (٣٨ض-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣١ م)
٣	السلطان مسعود (٤٢٢-٤٣٢هـ/ ١٠٣١-١٠٤١م)	* أحمد حسن الميمندي (٤٢٢-٤٢٤هـ/ ١٠٣٠-١٠٣٢م) * أحمد بن عبد الصمد (٤٢٤-٤٣٢هـ/ ١٠٣٢-١٠٤١م)	للمرة الثانية	القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥ م)